سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {١٨}

التوسل المشروع والتوسل الممنوع

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٢٣/جمادى الآخرة/١٤٤٥هجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {١٨}

التوسل المشروع والتوسل الممنوع

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٢٣/جمادى الآخرة/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

أمور تنافي التوحيد١٠

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكرُ بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وإن من الأمور التي تقع المخالفة فيها في توحيد الله سبحانه وتعالىٰ لهو أمر:

التوسل، التوسل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ في الدعاء أو العبادة أو غير ذلك، وهذا الباب مما دخل فيه خلل كثير علىٰ كثير من المسلمين فوقعوا في البدع بل وقعوا في الشرك تحت مسمىٰ التوسل، هذا الباب مما روَّج به كثير من دعاة الشرك الشركَ بالله سبحانه وتعالىٰ ودعوا الناس إليه ولبَّسوا عليهم فيه تحت شعار التوسل بالأنبياء أو الأولياء أو الصالحين.

وإن معرفة هذا الباب: ما يحِلُّ منه وما يحرم من المهم جداً حتىٰ لا يقع الإنسان في خلاف شرع الله وفي مخالفة توحيد الله تحت مسمىٰ التوسل الذي يدعو إليه كثير ممن يروِّج الشرك بالله.

والتوسل معناه التقرب، والوسيلة هي الشيء الذي يوصلك إلىٰ ما تريد، فالشيء الذي يوصلك إلىٰ تحصيل مقصودك هو الوسيلة، فكل أمر سواء كان حسياً أو معنوياً يوصلك إلىٰ ما تريد ويوصلك إلىٰ تحصيل المقصود الذي تطلبه فهو وسيلتك، والمراد بالتوسل في هذا الباب التوسل في دعاء الله سبحانه وفي عبادته.

والتوسل كما قال أهل العلم نوعان: توسل مشروع، وتوسل ممنوع .

فالتوسل المشروع: هو التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بعبادته وطاعته واتباع أنبيائه ورسله، والتوسل إليه بكل وسيلة شرعية توصل إلىٰ الله تعالىٰ، فهذا توسل مشروع أن يتقرب الإنسان بوسائل يتخذها مما جاء بها الشرع تقربه إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وهو الذي أمر الله تعالىٰ به في كتابه بقوله: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [سورة المائدة:٣٥]، فأمر الله تعالىٰ المؤمنين بتقواه وأن يبتغوا إليه الوسيلة، أي اطلبوا

القرب من الله -جل وعلا- بالعمل الصالح، اطلبوا القرب من الله سبحانه وتعالىٰ بالعمل بمرضاته واتباع أنبيائه ورسله، وهذا هو الذي كان عليه أهل الإيمان من الجن والإنس، قال الله سبحانه وتعالىٰ مخاطباً للمشركين: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ۝٥٧﴾ [سورة الإسراء:٥٧]، فقال الله تعالىٰ للمشركين: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾، هؤلاء الذين زعمتموهم أولياء من دون الله ادعوهم إن كنتم صادقين، ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦﴾ لا يستطيعون رفع الضر الذي أصابكم ولا يستطيعون تحويله وصرفه إلىٰ غيركم ثم قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ أي هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ هم أنفسهم يريدون القرب من الله -جل وعلا-.

جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: هذه الآية نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجِنِّيُّون واستمر الإنس علىٰ عبادتهم وهم لا يشعرون بإيمانهم، أناس من أهل الشرك عبدوا الجن من دون الله فأسلم أولئك الجن وأرادوا القرب من الله وطلبوا الوسيلة إليه واستمر الإنس علىٰ عبادتهم وهم لا يشعرون أنهم قد آمنوا، فقال الله تعالىٰ مخاطباً لهؤلاء المشركين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ أي هؤلاء الجن الذين يدعونهم من دون الله ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أي هم أنفسهم يبتغون الوسيلة إلىٰ الله ويريدون القُرْب لديه

فكيف تدعونهم من دون الله ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ أي هم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه وأنتم تعبدونهم من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

فالوسيلة التي طلبها هؤلاء المؤمنون من الجن هي القرب من الله -جل وعلا- ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ فهذه الوسيلة هي التي أمر الله بها وهي التي فعلها الصالحون من عباد الله من الجن والإنس وهي طلب القرب من الله بالعمل الصالح، طلب القرب من الله بالإيمان والطاعة، طلب القرب من الله -جل وعلا- باتباع الرسل والأنبياء والعمل بما دعوا إليه من توحيد الله وسائر الأعمال الصالحة، فهذه هي الوسيلة المأمور بها والوسيلة التي تكون في دعاء الله.

أيضًا بيَّن الله تعالىٰ ما يُشرع منها فالداعي لله تعالىٰ إذا دعا يذكر وسيلة في دعائه أي أمراً يكون سببًا في إجابة دعائه أمراً يكون سببًا في قربه من الله، وقد بين الله تعالىٰ في كتابه ونبينا ﷺ في سنته بماذا يكون التوسل إلىٰ الله تعالىٰ في الدعاء.

فأمر الله تعالىٰ بالتوسل بأسمائه وصفاته، قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف:١٨٠] فهذه وسيلة صالحة مشروعة تقربكم إلىٰ الله تعالىٰ وتكون سببًا في إجابة دعائكم، توسلوا إلىٰ الله بأسمائه وصفاته كما كان الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يتوسلون بأسماء الله وصفاته، ثم يدعون بما يريدون، فإذا أردت أن تدعو فَسَلِ الله -جل وعلا- بأسمائه وصفاته، إذا أردت الرحمة ناده بالرحيم فقل: (يا رحيم ارحمني)، إذا أردت التوبة فناده باسمه التواب وقل: (يا تواب تب

عليّ)، إذا أردت الرزق فناده باسمه الرزاق وسله الرزق، إذا أردت المغفرة فادعه باسمه الغفور وسله المغفرة فهذا من التوسل المشروع.

سَلِ الله بصفاته العظيمة، كما سأل الأنبياء قال الله عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ [سورة إبراهيم:٣٨] ثم قال: قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [سورة إبراهيم:٤٠] ، فأثنىٰ علىٰ الله بأسمائه وصفاته وما له من الكمال ثم سأله ودعاه فهذه من الوسيلة المشروعة التي أمر الله تعالىٰ بها.

هكذا يُشرع أن تتوسَّل إلىٰ الله بعملك الصالح فاذكر صلاتك وصيامك وجهادك اذكر إيمانك بالله واتباعك لرسل الله ثم ادعُ الله تعالىٰ بما تريد، فهذا من الوسيلة المشروعة التي أخبر الله تعالىٰ بها عن عباده المؤمنين في كتابه الكريم، ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [سورة آل عمران:١٦]، بعد أن ذكر الله المؤمنين وما أعد لهم في الجنة ذكر أن من دعائهم أنهم يتوسلون إلىٰ الله بإيمانهم وتوحيدهم لله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾، فيذكرون إيمانهم ثم يدعون الله سبحانه وتعالىٰ، ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [سورة آل عمران:١٩١]، وقال الله تعالىٰ عن الحواريين المؤمنين من أصحاب عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنهم قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [سورة آل عمران:٥٣]، فتوسلوا إلىٰ الله تعالىٰ بإيمانهم واتباعهم لرسول الله عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم سألوا الله تعالىٰ حاجتهم.

وقال الله تعالىٰ عن أولي الألباب أنهم يقولون: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة آل عمران:١٩٣]، فذكروا استجابتهم للرسول وإيمانهم به ثم سألوا الله تعالىٰ مغفرة لذنوبهم وتكفيرا لسيئاتهم والوقاية من عذاب النار.

وهذا في كلام الله كثير يخبر الله تعالىٰ عن عباده المؤمنين أنهم يتوسلون إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بأعمالهم الصالحة، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، لما ذكر الله في الآية التي قبلها إيمانهم وأنهم آمنوا بما جاء به الرسول وما أُنزل إليه من ربه وأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وهكذا ذكر سمعهم وطاعتهم، فهنالك سألوا الله المغفرة، ثم سألوا ما ذكره الله عنهم، فتوسلوا بتلك الأعمال الصالحة ثم دعوا الله تعالىٰ بتلك الأدعية.

وأخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن ثلاثة نفر ممن قبلنا آواهم المبيت إلىٰ غار وانسدت عليهم الصخرة فقال بعضهم لبعض: «إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ

تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ» فدعا الأول ببره لوالديه، ودعا الثاني بعفافه وتركه للزنا، ودعا الثالث بأمانته؛ ففرج الله عنهم(١).

فإذا أردت الدعاء فمن الوسيلة المشروعة أن تذكر عملك الصالح وتتخير من عملك الصالح أرجىٰ ما عملته في الإسلام فإن هذا مما يجيب الله تعالىٰ به دعاءك، وهو من الوسيلة المشروعة.

أيضًا من التوسل المشروع أن يتوسل العبد بفقره إلىٰ الله تعالىٰ وحاجته وضعفه ومسكنته، أن يتوسل إلىٰ الله باعترافه بذنبه وإقراره بخطيئته، فهذا مما يجيب الله به دعائه وهو من الوسيلة المشروعة كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ به عن أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين أنهم دعوا الله تعالىٰ بفقرهم: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٣] فذكر فقره إلىٰ الله وحاجته فأجاب الله دعاءهقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [سورة الأنبياء:٨٤].

وهكذا ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٧]، دعا الله تعالىٰ وتوسل إليه بإقراره بخطأه بإقراره بذنبه وبحاجته إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ خالقه ومولاه فأجاب الله دعاءه ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري(٢٢٧٢)، ومسلم(٢٧٤٣ -٩٩-) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿ٱلۡغَمِّ﴾ [سورة الأنبياء:٨٨]، وهذا كثير في دعاء الانبياء -عليهم الصلاة والسلام- أنهم يدعون الله تعالىٰ بفقرهم إليه وحاجتهم وضعفهم .

وهكذا من الوسيلة المشروعة التوسل بدعاء الرجل الصالح لا بذاته بل بدعائه، فإذا عُلِم من إنسان الصلاح أو أنه مستجاب الدعوة فإذا طلب إنسان منه الدعاء ليقربه دعاؤه ذلك إلىٰ ربه عز وجل فهذا من الوسيلة المشروعة، وعلىٰ هذا حَمَل أهل العلم ما جاء عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صحيح البخاري(١٠١٠) أنه توسل بالعباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وتوسل معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بيزيد بن الأسود الجرشي وغيرهم من السلف أي توسلوا بدعائهم، قال عمر حين أصابهم القحط والجذب: (اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ). أي بدعاء العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فكان العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يدعو لهم فيسقيهم الله -جل وعلا- المطر، فمن الوسيلة المشروعة أيضاً التوسل إلىٰ الله بدعاء الرجل الصالح، لا سيما فيما يكون مصلحته عامة ونفعه عاماً للناس كدعاء الاستسقاء ودعاء دفع البلاء ونحو ذلك من الأمور، فيُطلب من الرجل الصالح أن يدعو الله -جل وعلا- حتىٰ يجيب الله تعالىٰ دعاءه فيحصل النفع لأهل الإسلام فكل هذه من الوسائل الصالحة ومن التوسل المشروع الذي دل عليه كلام الله وكلام رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، والنوع الثاني من التوسل هو التوسل الممنوع في شرع الله تعالىٰ، التوسل الذي فيه مخالفة للأدلة والذي دخل بسببه كثير من الشر علىٰ المسلمين، ومنه ما يكون محرمًا ووسيلة من وسائل الشرك، وهو التوسل بجاه الأنبياء والصالحين أو مكانتهم عند الله تعالىٰ، أو التوسل بحرمة بعض الأمكنة والبقاع، ونحو ذلك، كما يصدر من كثير من الناس يتوسلون بحق الرسول، ويدعو أحدهم قائلا: اللهم أسألك بحق رسولك، أو يتوسل بجاه فلان: اللهم أسألك بجاه النبي أو بجاه الملائكة أو بجاه الأنبياء، أو يتوسل بحرمة البيت الحرام، أو يتوسل بحق الأولياء والصالحين، أو يتوسل ببعض البقاع يظن أن لها شرفًا، فيقول: بحق بقعة فلان أو تربة فلان، فكل هذا من التوسل المبتدع، الذي لم يفعله النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا صحابته رضي الله عنهم، ولا من بعدهم من سلف هذه الأمة.

بل هذا يجر الناس إلىٰ مخالفات، فما علاقة جاه فلان من الناس؟ وما علاقة صلاحه ومنزلته عند الله بإجابة دعائك؟ فأنت إن دعوت الله تدعو الله بصلاحك أنت لا بصلاح الناس، فصلاحُ غيرك ومنزلته عند الله وجاهه ينفعه هو ولا ينفعك أنت، فليس لك حق أن تدعو بجاهه أو منزلته أو مكانته أو قدره عند الله سبحانه.

ومن التوسل الممنوع ما يكون شركًا بالله كما يفعله عُبَّاد القبور المستغيثون بها من دون الله، فيدعون المقبور ويسألونه والرزق أو العافية، أو يسألونه النصر أو يسألونه أن يشفع لهم عند الله، أو يسألونه ما لا يُسأل إلا من الله -جل وعلا- بحجة أنه يتوسل بصلاحه ومنزلته، ويقول: أنا مُذْنِبٌ ومُقَصِّرٌ فلا أدعو الله مباشرة ولكن أدعو الله عبر هذا الصالح عبر هذا الولي عبر هذا المقبور، هكذا زيَّن لهم الشيطان هذه الشبهة، وكم دخل الشرك علىٰ الناس اليوم بهذا السبب؟ فترىٰ دعاة التصوف ودعاة الرفض يروِّجون للشرك اليوم بحجة أن هذا توسل بالصالحين وليس شركًا بالله، ولو تأملنا كلام الله بعلم وعدل وإنصاف نجد أن هذا هو عين شرك المشركين الأولين من كفار قريش وغيرهم، قال الله سبحانه وتعالىٰ عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨]، فهم عبدوهم ليشفعوا لهم عند الله، فالله عندهم عظيم، يعظِّمون الله أكثر من تعظيم هؤلاء، ولكنهم عبدوا هؤلاء ليقربوهم إلىٰ الله وليشفعوا لهم عند الله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨]، هذا شرك الأولين، وقال الله سبحانه وتعالىٰ أيضًا: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [سورة الزمر:٣] العبادة الخالصة التوحيد لله ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، هكذا يقولون، اتخذوا من دون الله أولياء وقالوا نحن ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، نريد الوسيلة بهم إلىٰ الله -جل وعلا- نريد الوصول بسببهم

وعن طريقهم إلىٰ الله -جل وعلا- ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، فهذا شرك المشركين الذين بعث فيهم الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والذين نزل فيهم القرآن، فمن يدعو اليوم بعض الأنبياء أو الصالحين أو الملائكة بحجة أنهم يقربونه إلىٰ الله أو يشفعون له عند الله ويسمي هذا توسلا فقد وقع في الشرك بالله -جل وعلا-، وقد وقع فيما نهاه الله -جل وعلا- عنه.

فاحذر أيها المسلم من دُعاة الضلال والتلبيس الذين زيَّنوا للناس الشرك في صورة التوسل بالصالحين ومعرفة حقهم ومكانتهم فهذا شرك بالله -جل وعلا-.

فعلىٰ المسلم إذا أراد أن يتوسل إلىٰ الله أن يتوسل بما شرعه الله ولا يتوسل بجاه أحد من الخلق مهما كان جاهه، ولا يتوسل بمنزلة أحد من الخلق مهما كانت منزلته، ولا يتوسل بدعاء غير الله أو طلب الشفاعة منه أو الاستغاثة به فإن غير الله لن ينفعك، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]، هو عبد مثلك لن ينفعك ولن يضرك إنما تنفع نفسك أو تضرها بأعمالك، وقل تعالىٰ: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [سورة فاطر:١٤]، هذا ضلال قال الله عن أهله: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥﴾ [سورة الأحقاف:٥].

فهذا الباب وهو باب التوسل دخل منه علىٰ الناس ضرر كبير وروَّج دعاة الشرك الشركَ بالله تعالىٰ في هذه الأزمنة باسم التوسل، فإذا أنكرت عليهم شركهم بالله

وعبادتهم للقبور ودعائهم لها من دون الله قالوا: هؤلاء صالحون ونحن نتوسل بهم إلىٰ الله -جل وعلا-، وقد خالفوا كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قولهم هذا ووقعوا فيما نهىٰ الله عنه.

فنسأل الله -جل وعلا- أن يأخذ بأيدينا إلىٰ كل خير.

اللهم أرنا الحق حق وارزقنا اتباعه، اللهم أرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين، اللهم عليك باليهود والنصارىٰ والرافضة الزنادقة المعتدين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا متين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

والحمد لله رب العالمين

٢٣/ جمادىٰ الآخرة/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع